

سورة المجادلة

وهي مدنية في قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة، والجمهور. وروي عن عطاء أنه قال: العشر الأول منها مدني، والباقي مكي. وعن ابن السائب: أنها مدنية سوى آية، وهي قوله تعالى: { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ }.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
{ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ لَتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }

قوله تعالى: { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ لَتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا } أما سبب نزولها، فروي عن عائشة أنها قالت: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة فكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا في جانب البيت أسمع كلامها، ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها وتقول: يا رسول الله: أبلى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برجت حتى نزل جبريل بهذه الآيات. فأما تفسيرها، فقوله تعالى: { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ } قال الزجاج: إدغام الدال في السين حسن لقرب المخرجين، لأنهما من حروف طرف اللسان، وإظهار الدال جائز، لأنه وإن قرب من مخرج السين، فله حيز على حدة، ومن موضع الدال الطاء والتاء، فهذه الأحرف الثلاثة موضعها واحد، والسين والزاي والصاد من موضع واحد، وهي تسمى: حروف الصغير. وفي اسم هذه المجادلة ونسبتها أربعة أقوال:

أحدها: خولة بنت ثعلبة، رواه مجاهد، عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وقتادة، والقرظي.

والثاني: خولة بنت خويلد، رواه عكرمة. عن ابن عباس.

والثالث: خولة بنت الصامت، رواه العوفي عن ابن عباس.

والرابع: خولة بنت الدليج، قاله أبو العالية. واسم زوجها: أوس بن الصامت، وكانا من الأنصار. قال ابن عباس: كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنت علي كظهر أمي، حرمت عليه، فكان أول من ظاهر في الإسلام أوس، ثم ندم، وقال لامرأته: انطلقني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسليه، فأتته، فنزلت هذه الآيات. فأما مجادلتها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه كان كلما قال لها: قد حرمت عليك تقول: والله ما ذكر طلاقاً، فقال: ما أوحى إلي في هذا شيء، فجعلت تشتكي إلى الله. وتشتكي بمعنى: تشكو. يقال: اشتكيت ما بي، وشكوته بمعنى شكوى شك أي اشكيت. وقالت: إن لي صبية صغاراً، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا. فأما التحاور، فهو مراجعة الكلام. قال عنتره في فرسه:

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى

ولكان لو علم الكلام مكلمي

{ لِّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَّيْنَهُمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْتَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ * وَلِّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ نَوْعُظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ }

قوله [عز وجل]: { لِّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَّيْنَهُمْ } قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو

«يظَاهرون» بفتح الياء، وتشديد الظاء والهاء وفتحهما من غير ألف. وقرأ أبو جعفر، وابن

عامر، وحمزة والكسائي بفتح الياء، وتشديد الظاء، وبألف، وتخفيف الهاء. وقرأ عاصم

«يُظَاهرون» بضم الياء، وتخفيف الظاء والهاء، وكسر الهاء في الموضعين مع إثبات الألف.

أي: ما أمهاتهم { إِلَّا اللَّائِي وَلَدْتَهُمْ } قال الفراء: وانتصاب، «الأمهات» ها هنا بإلقاء الباء،

وهي قراءة عبد الله «ما هن بأمهاتهم» ومثله: { مَا هَذَا بَشَرًا } [يوسف:31]، المعنى: ما هذا

ببشر، فلما ألقيت الباء أبقى أثرها، وهو: النصب، وعلى هذا كلام أهل الحجاز. فأما أهل نجد،

فإنهم إذا ألقوا الباء رفعوا، وقالوا: «ما هن أمهاتهم» و«ما هذا بشر» أنشدني بعض العرب:

ركاب حسيل آخر الصيف بدن وناقة عمرو ما يحل لها رحل

ويزعم حسل أنه فرع قومه وما أنت فرع يا حسيل ولا أصل

قوله تعالى: {وَإِنَّهُمْ} يعني: المظاهرين {لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ لِّقَوْلٍ} لتشبيههم الزوجات بالأمهات والأمهات محرمات على التأييد، بخلاف الزوجات {وَوَرُورًا} أي: كذبا {وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ} إذ شرع الكفارة لذلك.

قوله تعالى: {ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا} اللام في «لما» بمعنى «إلى» والمعنى: ثم يعودون إلى تحليل ما حرموا على أنفسهم من وطء. الزوجة بالعزم على الوطء. قال الفراء: معنى الآية: يرجعون عما قالوا، وفي نقض ما قالوا. وقال سعيد بن جبير: المعنى: يريدون أن يعودوا إلى الجماع الذي قد حرموه على أنفسهم. وقال الحسن، وطاووس، والزهري: العود: هو الوطء. وهذا يرجع إلى ما قلناه. وقال الشافعي: هو أن يمسكها بعد الظهر مدة يمكنه طلاقها فيه فلا يطلقها. فإذا وجد هذا، استقرت عليه الكفارة، لأنه قصد بالظهر تحريمها، فإن وصل ذلك بالطلاق فقد جرى على ما ابتدأه، وإن سكت عن الطلاق، فقد ندم على ما ابتدأ به، فهو عود إلى ما كان عليه، فحينئذ تجب الكفارة. وقال داود: هو إعادة اللفظ ثانيا، لأن ظاهر قوله تعالى: {يَعُودُونَ} يدل على تكرير اللفظ. قال الزجاج: وهذا قول من لا يدري اللغة. وقال أبو علي الفارسي: ليس في هذا كما ادعوا، لأن العود قد يكون إلى شيء لم يكن الإنسان عليه قبل، وسميت الآخرة معادا، ولم يكن فيها أحد ثم عاد إليها. قال الهذلي:

وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل سوى الحق شيئا واستراح العواذل
وقد شرحنا هذا في قوله تعالى: {وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} [البقرة: 210] قال ابن قتيبة: من توهم أن الظهر لا يقع حتى يلفظ به ثانية، فليس بشيء، لأن الناس قد أجمعوا أن الظهر يقع بلفظ واحد. وإنما تأويل الآية: أن أهل الجاهلية كانوا يطلقوا بالظهر، فجعل الله حكم الظهر في الإسلام خلاف حكمه عندهم في الجاهلية وأنزل قوله تعالى: «والذين يظاهرون من نسائهم» يريد في الجاهلية «ثم يعودون لما قالوا» في الإسلام، أي: يعودون لما كانوا يقولونه من هذا الكلام، {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} قال المفسرون: المعنى: فعليتهم، أو فكفارتهم تحرير رقبة، أي: عتقها. وهل يشترط أن تكون مؤمنة؟ فيه عن أحمد روايتان.
قوله تعالى: {مَنْ قَبِلَ أَنْ يَتَمَسَّكَ} وهو: كناية عن الجماع على أن العلماء قد اختلفوا: هل يباح للمظاهر الاستمتاع باللمس والقبلة؟ وعن أحمد روايتان. وقال أبو الحسن الأخفش: تقدير الآية «والذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة لما قالوا ثم يعودون إلى نسائهم».

فصل

إذا وطئ المظاهر قبل أن يكفر أثم، واستقرت الكفارة، وقال أبو حنيفة: يسقط الظهر والكفارة. واختلف العلماء فيما يجب عليه إذا فعل ذلك، فقال الحسن، وسعيد بن المسيب، وطاووس، ومجاهد، وإبراهيم، وابن سيرين، عليه كفارة واحدة. وقال الزهري، وقتادة، في آخرين: عليه كفارتان، فإن قال أنت علي كظهر أمي اليوم، بطل الظهر بمضي اليوم هذا قول أصحابنا، وأبي حنيفة، والثوري، والشافعي، وقال ابن أبي ليلى، ومالك، والحسن بن صالح: هو مظاهر أبدا.

واختلفوا في الظهر من الأمة، فقال ابن عباس: ليس من أمة ظهار، وبه قال سعيد بن المسيب، والشعبي، والنخعي، وأبو حنيفة، والشافعي. وقال سعيد بن جبير، وطاووس، وعطاء، والأوزاعي، والثوري، ومالك: هو ظهار ونقل أبو طالب عن أحمد أنه قال: لا يكون مظاهرا من أمته، ولكن تلزمه كفارة الظهر، كما قال في المرأة إذا ظهرت من زوجها لم تكن مظهرة، وتلزمها كفارة الظهر.
واختلفوا فيمن ظاهر مرارا، فقال أبو حنيفة، و الشافعي: إن كان في مجالس، فكفارات وإن كان في مجلس واحد، فكفارة. قال القاضي أبو يعلى: وعلى قول أصحابنا: يلزمه كفارة واحدة، سواء كان في مجلس، أو في مجالس، ما لم يكفر، وهذا قول مالك.
قوله تعالى: {ذَلِكُمْ تُوَعَّظُونَ بِهِ} قال الزجاج: ذلكم التغليظ توعظون به. والمعنى: أن غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهر.

قوله تعالى: { فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ } يعني: الرقبة { قَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ } أي: فعليه صيام شهرين { مُتَتَابِعَيْنِ فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ } الصيام { ف } كفارته { إِطْعَامٌ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ } أي: الفرض ذلك الذي وصفنا { لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ } أي: تصدقوا بأن الله أمر بذلك، وصدقوا بما أتى به الرسول { وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ } يعني: ما وصفه الله من الكفارات في الظهار { وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ

أَلِيمٌ } قال ابن عباس: لمن جحد هذا وكذب به. { إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَوَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ } وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ * يَوْمَ يَنْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَسْتَبْهَهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَلِيسَ اللَّهُ وَتَسْوَهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }

قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } قد ذكرنا معنى المحادة في { التَّوْبَةُ } ومعنى «كبتوا» في { عَمَّالٍ عَمْرَانَ } عند قوله تعالى { أَوْ يَكْتَبُهُمْ } { آيَةً } وقال ابن عباس: أخزوا يوم الخندق بالهزيمة كما أخزي الذين من قبلهم ممن قاتل الرسل.

قوله تعالى: { يَوْمَ يَنْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا } أي: من قبورهم { فَيَسْتَبْهَهُمْ بِمَا عَمِلُوا } من معاصيه، وتضييع فرائضه { أَلِيسَ اللَّهُ } أي: حفظه الله عليهم { وَتَسْوَهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ } من أعمالهم في السر والعلانية { شَهِيدٌ } ألم تر أي: ألم تعلم.

قوله تعالى: { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ } وقرأ أبو جعفر «ما تكون» بالتاء، قال ابن قتيبة: النجوى السرار. وقال الزجاج: ما يكون من خلوة ثلاثة يسرون شيئاً ويتناجون به إلا هو رابعهم أي عالم به «ونجوى» مشتق من النجوة، وهو ما ارتفع. وقرأ يعقوب «ولا أكثر» بالرفع. وقال الضحاك «إلا هو معهم»

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسَوْنَ لِمَصِيرٍ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ فَلَا تَتَّجَرُوا بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَّجَرُوا بِالْبُرِّ وَالنَّفْوَى وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّ إِلَيْهِ تُخْشَوْنَ * إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَرِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِالَّذِينَ آذَنَ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ قَلْبَتُوكَ لِمُؤْمِنُونَ }

قوله تعالى: { الم * تَرَى * إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى } في سبب نزولها قولان:

أحدهما: نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين، ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا ما نراهم إلا قد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا، قتل أو موت، أو مصيبة، فيقع ذلك في قلوبهم، وبحزنهم، فلا يزالون كذلك حتى تقدم أصحابهم. فلما طال ذلك وكثر، شكوا المؤمنون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم، أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك، فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس.

والثاني: نزلت في اليهود، قاله مجاهد. قال مقاتل: وكان بين اليهود وبين رسول الله موادة فإذا رأوا رجلاً من المسلمين وحده تناجوا بينهم، فيظن المسلم أنهم يتناجون بقتله، أو بما يكره، فيترك الطريق من المخافة، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنهاهم عن النجوى، فلم ينتهوا، وعادوا إليها فنزلت هذه الآية. وقال ابن السائب: نزلت في المنافقين. والنجوى: بمعنى: المناجاة { ثُمَّ يَعُودُونَ } إلى المناجاة التي نهوا عنها { وَتَتَّجَرُونَ } قرأ حمزة، ويعقوب، وإزيدا، وروحا «ويتنججون» وقرأ الباقون «ويتناجون» بالف. وفي معنى تناجيهم { بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ } وجهان:

أحدهما: يتناجون بما يسوء المسلمين، فذلك الإثم والعدوان ويوصي بعضهم بعضاً بمعصية الرسول.

والثاني: يتناجون بعد نهى الرسول، ذلك هو الإثم والعدوان ومعصية الرسول. قوله تعالى: { وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ } اختلفوا فيمن نزلت على قولين.

أحدهما: نزلت في اليهود. قالت عائشة رضي الله عنها: جاء ناس من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم، وفعل الله بكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه يا عائشة، فإن الله لا يحب الفحش، ولا التفحش، فقلت: يا رسول الله: ترى ما يقولون؟ فقال: ألسنت تريني أرد عليهم، ما يقولون وأقول: وعليكم، قالت: فنزلت هذه الآية في ذلك. قال الزجاج: والسام: الموت.

والثاني: أنها نزلت في المنافقين، رواه عطية عن ابن عباس. قال المفسرون: ومعنى «حيوك» سلموا عليك بغير سلام الله عليك، وكانوا يقولون: سام عليك. فإذا خرجوا يقولون في أنفسهم، أو يقول بعضهم لبعض، لو كان نبيا عذبنا بقولنا له ما نقول.

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ} فيها قولان.

أحدهما: نزلت في المنافقين، فالمعنى يا أيها الذين آمنوا بزعمهم، وهذا قول عطاء ومقاتل. والثاني: أنها في المؤمنين، والمعنى: أنه نهاهم عن فعل المنافقين واليهود، وهذا مذهب جماعة، منهم الزجاج.

قوله تعالى: {تَنَاجَوْا} هكذا قرأ الجماعة بألف. وقرأ يعقوب وحده «فلا تتنجوا» فأما البر فقال مقاتل: هو الطاعة «والتقوى» ترك المعصية. وقال أبو سليمان الدمشقي: «البر» الصدق و«التقوى» ترك الكذب. ثم ذكر أن ما يفعله اليهود والمنافقون، من الشيطان، فقال تعالى {إِنَّمَا لِلنَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ} أي: من تزيينه، والمعنى: إنما يزين لهم ذلك {لِيَخْرُنَ الَّذِينَ آمَنُوا} وقد بينا اتقاء ما كان يحزن المؤمنين من هذه النجوى {وَلَيْسَ بِضَارٍّ لَهُمْ شَيْئًا} أي: وليس الشيطان بضرار المؤمنين شيئا {إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} أي: بإرادته {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} أي: فليكلوا أمورهم إليه.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ وَفَسَّحُوا لِلَّهِ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}

قوله تعالى: {إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ} وقرأ عاصم في «المجالس» على الجمع، وذلك لأن كل جالس له مجلس، فالمعنى ليفسح كل رجل منكم في مجلسه. قال المفسرون: نزلت في نفر من المؤمنين كانوا يسابقون إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا أقبل المهاجرون وأهل السابقة، لم يجدوا موصعا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يليه أولو الفضل ليحفظوا عنه، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة جالس في صفة ضيقة في المسجد، جاء نفر من أهل بدر فيهم ثابت بن قيس ابن شماس، فسلموا وانتظروا أن يوسعوا لهم، فأوسعوا لبعضهم، وبقي بعضهم، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا فلان، قم يا فلان، حتى أقام من المجلس على عدة من هو قائم من أهل السابقة، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجوه من أقامهم الكراهة، وتكلم المنافقون في ذلك، وقالوا: والله ما عدل، فنزلت هذه الآية. وقال قتادة: كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا أقبل مقبل ضنوا بمجلسهم، فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض. قال المفسرون: ومعنى «تفسحوا» توسعوا وذلك أنهم كانوا يجلسون متضايقين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجد غيرهم مجلسا عنده؛ فأمرهم أن يوسعوا لغيرهم ليتساوي الناس في الحظ منه، ويظهر فضلة المقربين إليه من أهل بدر وغيرهم.

وفي المراد «بالمجلس» ها هنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه مجلس الحرب، ومقاعد القتال، كان الرجل يأتي القوم في الصف، فيقول لهم: توسعوا، فيأبون عليه لحرصهم على القتال، وهذا قول ابن عباس والحسن وأبي العالية، والقرظي.

والثاني: أنه مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، قاله مجاهد. وقال قتادة: كان هذا للنبي صلى الله عليه وسلم ومن حوله خاصة.

والثالث: مجالس الذكر كلها، روي عن قتادة أيضا. وقرأ علي ابن أبي طالب، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، ومجاهد، والحسن، وعكرمة، وقتادة، وابن أبي عبله، والأعمش: «تفسحوا في المجالس» بألف على الجمع.

قوله تعالى: {يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ} أي: يوسع الله لكم الجنة، والمجالس فيها {وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا} قرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم «انشزوا فانشزوا» برفع الشين. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: بكسر الشين فيهما. ومعنى «انشزوا» قوموا قال الفراء: وهما لغتان. وفي المراد بهذا القيام خمسة أقوال:

أحدها: أنه القيام إلى الصلاة، وكان رجال يتناقلون عنها، ف قيل لهم: إذا نودي للصلاة فانهضوا، هذا قول عكرمة والضحاك.

والثاني: أنه القيام إلى قتال العدو، قاله الحسن.

والثالث: أنه القيام إلى كل خير من قتال أو أمر بمعروف ونحو ذلك، قاله مجاهد.

والرابع: أنه الخروج من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلالوا ليكون كل واحد منهم آخرهم عهدا به، فأمرُوا أن ينشزوا إذا قيل لهم انشزوا، قاله ابن زيد.

والخامس: أن المعنى قوهوا وتحركوا وتوسعوا لإخوانكم، قاله الثعلبي.

قوله تعالى: {بَرِّعَ اللَّهُ لَكُمْ} أي: يرفعهم بإيمانهم على من ليس بمنزلتهم من الإيمان {وَيَرْفَعُ لَكُمْ} أي: يرفعهم بإيمانهم على من ليس بعالم. وهل هذا الرفع في الدنيا، أم في الآخرة؟ فيه وجهان.

أحدهما: أنه إخبار عن ارتفاع درجاتهم في الجنة.

والثاني: أنه ارتفاع مجالسهم في الدنيا، فيكون ترتيبهم فيها بحسب فضائلهم في الدين والعلم. وكان ابن مسعود يقول: أيها الناس: افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم، فإن الله يرفع المؤمن العالم فوق من لا يعلم درجات.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَجَيَّئْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤُكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ * أَسْأَلُكُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤُكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}

قوله تعالى: {إِذَا تَجَيَّئْتُمُ الرَّسُولَ} في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، فأنزل هذه الآية قاله ابن عباس.

والثاني: أنها نزلت في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يكثرُونَ مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويغلبون الفقراء على المجالس، حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك، فنزلت هذه الآية، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئا، وأما أهل الميسرة فدخلوا، واشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت الرخصة قاله مقاتل بن حيان، وإلى نحوه ذهب مقاتل بن سليمان، إلا أنه قال: فقدر الفقراء حينئذ على مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يقدم أحد من أهل الميسرة صدقة غير علي بن أبي طالب.

وروي مجاهد عن علي رضي الله عنه قال: آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي، ولن يعمل بها أحد بعدي، آية النجوى. كان لي دينار، فبعته بعشرة دراهم، فكلما أردت أن أناجي رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت درهما، فنسختها الآية الأخرى {أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُؤُكُمْ} الآية.

قوله تعالى: {ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ} أي: تقديم الصدقة على المناجاة خير لكم، لما فيه من طاعة الله، وأطهر لذنوبكم {فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا} يعني: الفقراء {فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ} إذ عفا عن لا يجد.

قوله تعالى: {أَسْأَلُكُمْ} أي: خفتم بالصدقة الفاقة {وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} أي: فتجاوز عنكم، وخفف بنسخ إيجاب الصدقة. قال مقاتل بن حيان إنما كان ذلك عشر ليال. قال قتادة: ما كان إلا ساعة من نهار.

قوله تعالى: {أَسْأَلُكُمْ} أي: خفتم بالصدقة الفاقة {وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} أي: فتجاوز عنكم، وخفف بنسخ إيجاب الصدقة. قال مقاتل بن حيان إنما كان ذلك عشر ليال. قال قتادة: ما كان إلا ساعة من نهار.

قوله تعالى: {أَسْأَلُكُمْ} أي: خفتم بالصدقة الفاقة {وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} أي: فتجاوز عنكم، وخفف بنسخ إيجاب الصدقة. قال مقاتل بن حيان إنما كان ذلك عشر ليال. قال قتادة: ما كان إلا ساعة من نهار.

قوله تعالى: {أَسْأَلُكُمْ} أي: خفتم بالصدقة الفاقة {وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} أي: فتجاوز عنكم، وخفف بنسخ إيجاب الصدقة. قال مقاتل بن حيان إنما كان ذلك عشر ليال. قال قتادة: ما كان إلا ساعة من نهار.

قوله تعالى: {أَسْأَلُكُمْ} أي: خفتم بالصدقة الفاقة {وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} أي: فتجاوز عنكم، وخفف بنسخ إيجاب الصدقة. قال مقاتل بن حيان إنما كان ذلك عشر ليال. قال قتادة: ما كان إلا ساعة من نهار.

قوله تعالى: {أَسْأَلُكُمْ} أي: خفتم بالصدقة الفاقة {وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} أي: فتجاوز عنكم، وخفف بنسخ إيجاب الصدقة. قال مقاتل بن حيان إنما كان ذلك عشر ليال. قال قتادة: ما كان إلا ساعة من نهار.

قوله تعالى: {أَسْأَلُكُمْ} أي: خفتم بالصدقة الفاقة {وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} أي: فتجاوز عنكم، وخفف بنسخ إيجاب الصدقة. قال مقاتل بن حيان إنما كان ذلك عشر ليال. قال قتادة: ما كان إلا ساعة من نهار.

قوله تعالى: {أَسْأَلُكُمْ} أي: خفتم بالصدقة الفاقة {وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} أي: فتجاوز عنكم، وخفف بنسخ إيجاب الصدقة. قال مقاتل بن حيان إنما كان ذلك عشر ليال. قال قتادة: ما كان إلا ساعة من نهار.

قوله تعالى: {أَسْأَلُكُمْ} أي: خفتم بالصدقة الفاقة {وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} أي: فتجاوز عنكم، وخفف بنسخ إيجاب الصدقة. قال مقاتل بن حيان إنما كان ذلك عشر ليال. قال قتادة: ما كان إلا ساعة من نهار.

قوله تعالى: {أَسْأَلُكُمْ} أي: خفتم بالصدقة الفاقة {وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} أي: فتجاوز عنكم، وخفف بنسخ إيجاب الصدقة. قال مقاتل بن حيان إنما كان ذلك عشر ليال. قال قتادة: ما كان إلا ساعة من نهار.

قوله تعالى: {أَسْأَلُكُمْ} أي: خفتم بالصدقة الفاقة {وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} أي: فتجاوز عنكم، وخفف بنسخ إيجاب الصدقة. قال مقاتل بن حيان إنما كان ذلك عشر ليال. قال قتادة: ما كان إلا ساعة من نهار.

قوله تعالى: {أَسْأَلُكُمْ} أي: خفتم بالصدقة الفاقة {وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} أي: فتجاوز عنكم، وخفف بنسخ إيجاب الصدقة. قال مقاتل بن حيان إنما كان ذلك عشر ليال. قال قتادة: ما كان إلا ساعة من نهار.

قوله تعالى: {أَسْأَلُكُمْ} أي: خفتم بالصدقة الفاقة {وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} أي: فتجاوز عنكم، وخفف بنسخ إيجاب الصدقة. قال مقاتل بن حيان إنما كان ذلك عشر ليال. قال قتادة: ما كان إلا ساعة من نهار.

قوله تعالى: {أَسْأَلُكُمْ} أي: خفتم بالصدقة الفاقة {وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} أي: فتجاوز عنكم، وخفف بنسخ إيجاب الصدقة. قال مقاتل بن حيان إنما كان ذلك عشر ليال. قال قتادة: ما كان إلا ساعة من نهار.

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * لَن نُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَخْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ * سَتَجِدُوا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَاَنْسَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ جِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَّا إِنَّ جِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ }

قوله تعالى: {الم * ترى * إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم} نزلت في المنافين الذين تولوا اليهود، ونقولوا إليهم أسرار المؤمنين. وقال السدي، ومقاتل: نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق، وذلك أنه كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع حديثه إلى اليهود، فدخل عليه يوما، وكان أزرق، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلام تشتمني أنت وأصحابك؟ فحلف بالله ما فعل، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «فعلت» فانطلق فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما سبوه، فأنزل الله هذه الآيات. وروى الحاكم أبو عبد الله في «صحيحه» من حديث ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في ظل حجرة من حجره، وعنده نفر من المسلمين، فقال: إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا أتاكم فلا تكلموه فجاء رجل أزرق، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: علام تشتمني أنت وفلان وفلان؟ فانطلق الرجل فدعاهم، فحلفوا بالله واعتذروا إليه، فأنزل الله تعالى: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ} الآية.

فأما التفسير، الذين تولوا: هم المنافقون، والمغضوب عليهم: هم اليهود {مَّا هُمْ مِنْكُمْ} يعني: المنافين ليسوا من المسلمين، ولا من اليهود {وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ} وهو ما ذكرنا في سبب نزولها وقال بعضهم حلفوا أنهم ما سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تولوا اليهود {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} أنهم كذبة {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً} أي: سترة يتقون بها القتل. قال ابن قتيبة: المعنى: استتروا بالحلف فكلما ظهر لهم شيء يوجب معاقبتهم حلفوا كاذبين، {فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ} فيه قولان: أحدهما: صدوا الناس عن دين الإسلام قاله السدي.

والثاني: صدوا عن جهادهم بالقتل وأخذ مالهم. قوله تعالى: {فَيَحْلِفُونَ لَهُ} قال مقاتل، وقتادة: يحلفون لله في الآخرة أنهم كانوا مؤمنين، كما حلفوا لأوليائه في الدنيا {وَيَخْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ} من أيمانهم الكاذبة {أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ} في قولهم وأيمانهم.

قوله تعالى: {سَتَجِدُوا عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ} قال أبو عبيدة: غلب عليهم، وحاذهم، وقد بينا هذا في سورة {النِّسَاءِ} عند قوله تعالى: {تَسْتَحْوَذُ عَلَيْكُمْ} [آية: 141] وما بعد هذا ظاهرا إلى قوله تعالى: {أُولَئِكَ فِي الْأَدْلِينَ} أي: في المغلوبين، فلهم في الدنيا ذل، وفي الآخرة خزي. {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَدْلِينَ} * كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ * لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكَانُوا أَتَاءَهُمْ أَوْ أَبْتَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَّا إِنَّ جِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }

قوله تعالى: {كَتَبَ اللَّهُ} أي: قضى الله {لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرُسُلِي} وفتح الياء نافع، وابن عامر. قال المفسرون: من يعث من الرسل بالحرب، فعاقبة الأمر له، ومن لم يبعث بالحرب، فهو غالب بالحجة {إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} أي: مانع حربه من أن يذل.

قوله تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا} الآية. اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال: أحدها: نزلت في أبي عبيدة بن الجراح، قتل أباه يوم أحد، وفي أبي بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، فقال: يا رسول الله دعني أكون في الرعدة الأولى فقال: متعنا بنفسك يا أبا بكر، وفي مصعب بن عمير، قتل أخاه عبيد بن حمزة يوم أحد، وفي عمرو قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر، وفي علي وحمزة قتل عتبة وشيبة يوم بدر، قاله ابن مسعود.

والثاني: أنها نزلت في أبي بكر الصديق، وذلك أن أبا قحافة سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه أبو بكر الصديق صكة شديدة سقط منها ثم ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أو فعلته» قال: نعم. قال: فلا تعد إليه، فقال أبو بكر: والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته، فنزلت هذه الآية، قاله ابن جريج.

والثالث: نزلت في عبد الله بن عبد الله بن أبي، وذلك أنه كان جالسا إلى جنب رسول الله، فشرب رسول الله ماء، فقال عبد الله: يا رسول الله أبق فضلة من شراك، قال: وما تصنع بها؟ قال: أسقيها أبي، لعل الله سبحانه يطهر قلبه، ففعل فأتى بها أباه، فقال: ما هذا؟ قال: فضلة من شراب رسول الله جئتك بها لتشربها،

لعل الله يطهر قلبك، فقال: لهلا جئتني ببول أمك فرجع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أئذن لي في قتل أبي، قال: فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارفق به، وأحسن إليه، فنزلت هذه الآية قاله السدي.

والرابع: أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة يخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عزم على قصدهم، قاله مقاتل واختاره الفراء والزجاج. وهذه الآية قد بينت أن مودة الكفار تقدر في صحة الإيمان، وأن من كان مؤمنا لم يوال كافرا وإن كان أباه أو ابنه أو أحدا من عشيرته.

قوله تعالى: {أُولَئِكَ} الذين، يعني: الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله {كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ} [الْإِيمَانَ] وقرأ المفضل عن عاصم «كتب» برفع الكاف والنون من «الإيمان». وفي معنى «كتب» خمسة أقوال.

أحدها: أثبت في قلوبهم الإيمان، قاله الربيع بن أنس. والثاني: جعل، قاله مقاتل.

والثالث: كتب في اللوح المحفوظ أن في قلوبهم الإيمان حكاة الماوردي.

والرابع: حكم لهم بالإيمان. وإنما ذكر القلوب، لأنها موضع الإيمان ذكره الثعلبي.

والخامس: جمع في قلوبهم الإيمان حتى استكملوه، قاله الواحدي.

قوله تعالى: {وَأَيَّدَهُمْ} أي: قواهم {يُرْوَحُ مِنْهُ} وفي المراد «بالروح» ها هنا خمسة أقوال: أحدها: أنه النصر، قاله ابن عباس، والحسن. فعلى هذا سمي النصر روحا، لأن أمرهم يحيا به. والثاني: الإيمان، قاله السدي.

والثالث: القرآن، قاله الربيع.

والرابع: الرحمة، قاله مقاتل.

والخامس: جبريل عليه السلام أيدهم به يوم بدر ذكره الماوردي فأما {جَزَبُ اللَّهِ} فقال الزجاج هم الداخلون في الجمع الذين اصطفاهم وارتضاهم، و«ألا» كلمة تنبيه وتوكيد للقصة.